النص والاجتهاد
تأليف
الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي
دار القارئ

تأليف

الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي قدس سره

دار القارئ

خاتمة الكتاب

نختم كتابنا فيما افتتحناه به من البحث عن الإمامة بعد رسول الله ﷺ لمكانها من عناية الله تعالى ورسوله، ومسيس حاجة الأمة إليها في دينها ودنياها، ولما بذله الرسول ﷺ في سبيلها من النصح لربه عزّ وعلا، ولأمّته لا يألو في ذلك جهداً ولا يدّخر وسعاً.

ومن أحاط علماً بسيرته ﷺ في تأسيس دولة الإسلام منذ قام بأعبائها وجد علياً وزيره من أهله، وشريكه في أمره، وظهيره على عدوه، وعيبة علمه، ووارث حكمه، وولي عهده، وصاحب الأمر من بعده، ومن ألمّ ممعناً في أقواله وأفعاله، في حلّه وترحاله، يجد الكثير منها متوالياً في الدلالة على ذلك، من أوّل أمره إلى منتهى عمره. وقد استمرّ في بثّها بأساليبه الحكيمة العظيمة ثلاثاً وعشرين سنة، منذ بعث بالحقّ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، يشيّد بخصائصه فيرفع بذلك ذكره، ويوليه من الثناء عليه في كلّ مناسبة ما يعظم به قدره.

وقد صدع بالنص عليه في أوائل بعثته ﷺ قبل ظهور دعوته في مكّة، حين أنذر عشيرته الأقربين على عهد شيخ البطحاء وبيضة البلد عمه أبي طالب في داره، فقال لهم (وقد أخذ برقبة عليّ وهو أصغر القوم سناً): إن هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا... الحديث[1].

ولم يزل بعدها يدلل على خلافته، تارة بدلالة المطابقة نصّاً كقوله ﷺ ـ حين

---

(١) أوردناه ـ مع الإشارة إلى أسانيده ومصادره من كتب الجمهور ـ في المراجعة ٢٠ وأثبتنا تصحيح الجمهور له في المراجعة ٢٢ من كتاب المراجعات، فلا يفوتنّ باحثاً مراجعتهما معاً فإن هناك الفوائد والعوائد، ولا تنس ما في قوله ﷺ لعشيرته الأقربين ـ وفيهم أعمامه أبو طالب وغيره ـ: فاسمعوا له وأطيعوا، من وجوب السمع والطاعة عليهم كافّة لعليّ في حياة النبي ﷺ الأمر الذي دلّ على أنّه كان من يومئذ من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بنبي.

وقد يختصّ ﷺ بالنصّ على عليّ بعض أوليائه من المخلصين كسلمان فيما رواه الطبراني عنه في الكبير إذ قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ وصيي، وموضع سري، وخير من أترك بعدي، ينجز عدّتي، ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب.

وقد يختصّ بعض من في قلوبهم مرض كبريدة فيما أخرجه عنه محمد بن حميد الرازي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لكلّ نبي وصي ووارث، وإن وصيي ووارثي عليّ بن أبي طالب.

وكأنس فيما رواه عنه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء إذ قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا أنس أوّل من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين، وسيّد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين، وقائد الغرّ المحجلين. قال أنس: فجاء عليّ فقام إليه رسول الله ﷺ مستبشراً فاعتنقه وقال له: أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه من بعدي[(١)].

وعن أنس أيضاً، فيما أخرجه عنه الخطيب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وهذا يعني علياً، حجة على أمّتي يوم القيامة. تجده في ص ١٥٧ من الجزء ٦ من الكنز وهو الحديث ٢٦٣٢.

وكم اختصّ بذلك أولات الفضل من النساء كزوجته أم المؤمنين أم سلمة وأم الفضل زوجة عمه، وأسماء بنت عميس، وأم سليم الأنصارية، وأمثالهنّ. وربّما نوّه بذلك على منبره الشريف. وربّما أفضى به إلى بعض أصحابه في البقيع. ونوّه به يومي المؤاخاة وكانت الأولى منهما في مكّة قبل الهجرة، والثانية كانت بعدها في المدينة بين المهاجرين والأنصار، وفي كلتا المرتين يصطفي لنفسه منهم علياً فيتّخذه من دونهم أخاه، تفضيلاً له على من سواه، ويقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

وكذلك فعل يوم سد الأبواب غير باب عليّ[(٢)].

ولم تنس الأمة ولن تنسىٰ ما رواه أبو بكر ـ وهو الخليفة الأول ـ عن رسول الله من قوله ﷺ: عليّ مني بمنزلتي من ربي[(٣)].

---

(١) حديث أنس هذا واللذان قبله أعني حديث بريدة وحديث سلمان موجودة في المراجعة ٦٨ فلتراجع مع ما علقناه عليها.

(٢) حديث سد الأبواب هذا وحديث المؤاخاة أوردناهما في المراجعة ٣٢ وهناك سبعة موارد لحديث منزلة هارون من موسى: فلتراجع وما حولها.

(٣) أخرجه ابن السمّاك، ونقله عنه ابن حجر في المقصد الخامس من مقاصد الآية ١٤ من الآيات التي أوردها في الباب ١١ من صواعقه فراجع منها ص ١٠٦.